ألبرت اينشتاين

عاش بين عامى (١٨٧٩م – ١٩٥٥م) ، ولد فى ألمانيا لأبوين يهوديين ، وبدت قدراته محدودة للغاية فى طفولته حيث كان يبدو تلميذاً دون المتوسط ، وفجأة وهو فى الثانية عشرة أيقظ كتاب صغير سباته وكان تأثيره عليه كالصاعقة ... لقد أولع بهندسة إقليدس ولازمه هذا الولع فترة طويلة ، ولما بلغ الرابعة عشرة كان قد استوعب تماماً حساب التفاضل والتكامل ، وفيما عدا ذلك من المواد فإن حالته الدراسية كانت تثير الرثاء ، وبدلاً من أن ينتظر إتمام دراسته الثانوية رحل إلى إيطاليا حيث كان أبوه قد رحل إليها بعد إفلاسه من عمله .

ثم التحق بمدرسة الصناعات فى زيورخ بعد أن رسب فى امتحان القبول فى البداية ، ولكنه بدلاً من أن يصبح مهندساً قرر أن يتوجه إلى التدريس، وبفضل توصية حصل عليها تمكن من الالتحاق بمكتب براءات الاختراع الاتحادى فى برن ثم تزوج من فتاه صربية وأنجب منها طفلين .

وابتداء من عام ١٩٠١م بدأ ينشر مقالات فى نشرة " حوليات الفيزياء " الألمانية ، وفى عام ١٩٠٥م عرض بها الأسس التى قامت عليها نظرية النسبية ... وسدد فيها ضربات عنيفة لقوانين الحركة التى وضعها نيوتن ، ومع

ذلك لم يلاحظ أحد هذا فيما عدا اينشتاين نفسه ... أعقب ذلك حوالى أربع سنوات من الصمت كان قد تمكن خلالها من الحصول على الجنسية السويسرية ومنصب محاضر فى برن ثم فى زيورخ ، ولم تكن المعلومات التى يلقيها تتمشى مع العرف العلمى وكانت تثير دهشة زملائه ، ثم ألقى محاضراته فى جامعة براغ ، وهناك بدأ اسمه يبرز بعد العديد من الأبحاث ، وانفصل فى هذه الفترة عن زوجته ، وخلال العامين اللذين قضاهما فى براغ اجتهد فى تدعيم وتوسيع نظرية النسبية كما قدمها عام ١٩٠٥م وذلك بأن حاول إدماج الجاذبية فيها .

وفى عام ١٩١٢م نشر مقالاً عن تأثير الجاذبية على انتشار الضوء يتناقض تماماً مع ما كان مألوفاً ، حيث أكد فيه أن الشعاع الضوئى إذا تعرض لحقل جاذبية يمكن فى الواقع أن ينحنى بدرجة كبيرة وأوضح " أن هذا الانحناء للشعاع الضوئى المنبعث من النجوم الثابتة يجب أن يكون مرئياً فى أثناء الكسوف الشمسى ، وبالتالى يمكن التدليل على صحة هذه النظرية بالتجربة ، وهنا كان تنبؤاته قد أصبحت محل اعتراف بعض الباحثين البارزين ولم يكن فى ذلك الوقت قد تجاوز الثلاثين من عمره بكثير ...

وفى عام ١٩١٦م نشرت له مجلة الحوليات بحثاً فريداً قدر له أن يشعل الثورة فى عالم العلوم وهو " أسس نظرية النسبية العامة " حيث كان العلماء يفترضون أن الزمن والمكان عنصران مطلقان ، وإذا باينشتاين بعملية حسابية رائدة يتيح للإنسان إمكانية السيطرة على هذين العنصرين بوضعهما فى عالم النسبية.

وفى ذلك الوقت كان العلماء فى إنجلترا يتابعون باهتمام مقالة لاينشتاين " ملاحظات كونية على نظرية النسبية " ، وقد أعلنت الصحيفة الرسمية لجمعية الفلكيين البريطانيين عن حدوث كسوف كلى للشمس وهو ما سيتيح الفرصة

لاختبار صحة نظرية اينشتاين ، وفى اليوم المحدد للكسوف قامت مجموعتان من الفلكيين برصد الظاهرة ... ومرت بضع شهور فى دراسات وحسابات دقيقة للصور التى ألتقطت إلى أن أعلن رئيس الجمعية الملكية فى نوفمبر ١٩١٩م أنه قد " لوحظ انحراف قدره ١٦٤ من القوس ... إنه أعظم اكتشاف يتعلق بالجاذبية منذ أن أعلن نيوتن قوانينه " .

وتشير النظرية النسبية إلى أن الحركة نسبية ، بمعنى أنه إذا كان شخص يركب سيارة مسرعة فإنه يعتبر متحركاً بالنسبة للمنشآت التى يمر بها ، ويعتبر فى نفس الوقت ساكناً بالنسبة للشخص الجالس بجواره ، فالمسألة هنا إذن نسبية ... ثم جاء اينشتاين وطور هذه الفكرة ، وقال إن كتلة الجسم تزداد بازدياد سرعته ، ومع أن هذه الزيادة طفيفة جداً إلا أنه إذا قدر لجسم أن يتحرك بسرعة فائقة لزاد وزن الجسم زيادة مذهلة ، وتقول النظرية النسبية أيضاً أنه من الممكن تحويل الكتلة إلى طاقة ، والطاقة إلى كتلة ، والطاقة الناشئة عن تفتيت ذرات الكتلة أو المادة رهيبة جداً وهى التى تستخدم فى القنبلة الذرية .

تتويجاً لهذا الجهد منح اينشتاين جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٢١م ... وفى عام ١٩٢٩م أصدر نظريته عن " الحقول المتحدة " لكى يلخص بها عن طريق مجموعة من المعادلات القوانين التى تتحكم فى القوانين الرئيسية فى الكون وهما الجاذبية والكهرومغناطيسية .

وأمام ازدياد النفوذ النازى شعر اينشتاين بأن حياته أصبحت مهددة فلم يتردد فى قبول كرسى الأستاذية فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة عام ١٩٣٢م ،وكانت آخر نظرة ألقى بها قبل سفره على مكتبته التى أحرقت بعد رحيله بقليل أمام جامعة برلين ، وعندما استولى هتلر على السلطة عام ١٩٣٣م أسرع اينشتاين عائداً إلى أوربا وكشف أمام العالم البرنامج الدموى للنازية ولم يستجب له أحد ، فعاد إلى الولايات المتحدة مرة أخرى حيث حضر وفاة شريكة

حياته ، وفى عام ١٩٣٩م كتب إلى الرئيس الأمريكى روزفلت رسالته الشهيرة لينبهه إلى ضرورة الإسراع فى إنتاج القنبلة النووية قبل الألمان ، وفى عام ١٩٤٠م منح الجنسية الأمريكية مع احتفاظه بالجنسية السويسرية .

وفى تلك الفترة نشر معادلة صغيرة لا تتجاوز الشكل التالى :-

$$ط = ك \times ض^{٢}$$

(حيث ط هى الطاقة الكامنة فى الجسم وهو فى حالة السكون ، و ك كتلته ، و ض هى سرعة الضوء) ... وفى عام ١٩٣٩م تمكن العلماء من اكتشاف التفاعل المتسلسل : إن " انشطار " نواة اليورانيوم ٢٣٥ بتأثير أحد النيترونات وهى ظاهرة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت ، تولد عن طريق التحويل العنصرى عنصرين جديدين يقعان فى الوسط تقريباً بين عناصر جدول " منديليف " مع توليد كمية من الطاقة ، وكان ذلك إيذاناً بقرب ظهور القنبلة والمكثف والمحركات النووية .

جائزة نوبل

فى العاشر من ديسمبر من كل عام – فى ذكرى وفاة الفريد نوبل – يتابع العالم باهتمام مراسم منح جوائز نوبل التى تعد من أقدم الجوائز العالمية وأكثرها شهرة وأكبرها قيمة ، وتقام مراسم الاحتفال فى كل من السويد والنرويج بحضور ملكى الدولتين ، حيث تمنح فى الأولى إلى الفائزين فى مجالات الفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والأدب ، والاقتصاد ، بينما تمنح فى الثانية للفائزين فى مجال السلام ...

ولد الفريد نوبل (١٨٣٣ – ١٨٩٦ م) فى استوكهولم عاصمة السويد ، وكان أبوه " عمانوئيل نوبل " مهندساً مدنياً مختصاً بإنشاء الطرق والكبارى ، كما كان مبتكراً ومخترعاً فى مجال تدمير الصخور ، وبلغ نبوغ الفريد حداً مذهلاً فلم يكد يتم السابعة عشرة من عمره حتى أتقن خمس لغات وهى السويدية و الروسية والفرنسية والإنجليزية والألمانية . واتجه إلى الأدب خاصة الأدب الإنجليزى ، وتأليف الشعر ، غير أن أباه لم يكن راضياً عن اهتمام ابنه بالآداب، وكان يريد إلحاقه بمشاريعه فى الهندسة المدنية ، فأرسله للخارج فى سلسلة رحلات لعدة دول ، ليواصل تعليمه فى علم الكيمياء ، فزار السويد وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

وفى باريس وجد الفريد نفسه منخرطاً فى الكيمياء فالتحق بمعمل البروفيسور بيلوز ، وتوجه اهتمامه نحو نفس اهتمامات والده فى التفجير والديناميت .

وكأن القدر أراد تحذير نوبل الأب وابنه من مخاطر اختراعهما ، فقد أظهرت الأبحاث التى اجراها نوبل عام ١٨٦٣م حول النيتروجليسرين مدى خطورة هذه المادة سريعة الانفجار ، ومع ذلك احتفظ فى معمله بكمية منها نحو مائة كيلو جرام ، وفى الثالث من شهر سبتمبر ١٨٦٤ هز انفجار قوى العاصمة السويدية استوكهولم أدى إلى مقتل ٨ اشخاص فى معمل نوبل من بينهم إميل – أخ الفريد الصغير – وهو فى العشرين من عمره ، وكان نصيب الفريد من ذلك الانفجار جروحاً عدة فى الوجه ، وعندما رأى نوبل الأب مكان الكارثة أصيب بصدمة نفسية كبيرة ، فأمضى السنوات الثمانى الأخيرة من حياته أسير الفراش، وعلى الرغم من المأساة الكبيرة التى ألمت به حصل نوبل فى الرابع من أكتوبر ١٨٦٤ ، أى بعد شهر على الانفجار على إذن يخوله إنتاج المادة المتفجرة ، كما تابع أبحاثه الهادفة للحصول على مثبت للنيتروجليسرين الذى كان ينفجر بسهولة جراء اصطدامه أو احتكاكه بأى جسم آخر .

والديناميت الذى اكتشفه نوبل هو عبارة عن مزيج من النيتروجليسرين مع التربة العضوية ، وقد كتبت الصحافة فى حينه الكثير عن هذا الاختراع معتبرة إياه مصادفة ، ففى إحدى المرات سكب النيتروجليسرين عن طريق الخطأ فى التربة فامتصته وأصبحت على شكل معجون ، لاحظ نوبل الأمر ، فاختار تربة عضوية ومزج بها النيتروجليسرين فحصل على مادة ثابتة لا تنفجر إلا بواسطة كبسولة التفجير وأطلق عليها اسم ديناميت ، هكذا حل الديناميت مكان البارود وأصبح ملكاً لسوق المتفجرات طيلة قرن من الزمن تقريباً ، وفى ١٨٦٧م حصل نوبل على براءة اختراع الديناميت ، وتهافتت على شرائه

شركات البناء والمناجم والقوات المسلحة ، وقام الفريد بإنشاء عشرات المصانع والمعامل فى عشرين دولة ، وجنى من وراء ذلك ثروة كبيرة جداً حتى أصبح من أغنى أغنياء العالم .

هاجمت الصحافة الفريد فى أوربا وحملت عليه بشدة وأطلق عليه بعض الصحفيين لقب " صانع الموت " لأنه صنع شهرته وثروته من صناعة المفرقعات التى استخدمت فى الحروب على نطاق واسع .

وواجه الفريد هذه الحملات بأن رسم لنفسه صورة ذهنية معاكسة تماماً للسائد عنه ، فقد قال أنه كان يحلم دائماً أن يرى نهاية للحروب ، وأن يعم السلام بين الأمم ، وزعم أنه كان يرى فى الديناميت أملاً فى رخاء وسعادة البشرية من خلال استخدام الديناميت فى حفر المناجم واستخراج الخيرات والثروات الطبيعية من باطن الأرض الى جانب حفر الأنفاق وشق القنوات وشق الطرق لتسهيل التجارة والاتصالات بين البشر .

توفى الفريد نوبل فى العاشر من ديسمبر ١٨٩٦م فى مدينة سان ريمو الإيطالية وحيداً ، حيث أنه لم يتزوج ، وخلف وراءه ثروة طائلة قدرت بحوالى ٣٠ مليون كورنا سويدية (حوالى ١٥٠ مليون دولار) ، وكان قد أوصى باستثمارها فى مشروعات ربحية يتم من خلال عائدها منح خمس جوائز سنوية لأكثر من أفاد البشرية فى خمس مجالات حددها فى الكيمياء ، والفيزياء ، والطب ، والأدب ، والسلام العالمى ، ويتم توزيع الجوائز فى السويد ويقوم ملك السويد بنفسه بتسليمها لأصحابها ، وذلك فى مجالات الكيمياء والفيزياء والأدب والطب ، أما جائزة السلام فيتم تسليمها فى قاعة مجلس مدينة اوسلو وفقاً لبنود الوصية ، وقد اضيفت جائزة سادسة فى الاقتصاد عام ١٩٦٩ م يقوم البنك المركزى السويدى بمنحها ، ويسدد قيمتها بنفسه بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على تأسيس وإنشاء البنك ، وتحظى عملية تسليم جائزة نوبل فى الاقتصاد لصاحبها

بمراسم الاحتفال والتكريم التى يحظى بها من ينال جوائز نوبل فـــى الكيميـــاء والطب والطبيعة والأدب .

ومما يذكر أن الفريد نوبل قد اوصى بتوزيع جوائز نوبل فى عاصمتى السويد والنرويج اللتين كانتا متحدتين فى ذلك الوقت تحت حكم الملك أوســكار الثانى ، وقد انفصلت الدولتان عام ١٩٠٥ سلمياً .

وقد بدأ تقديم جوائز نوبل لأول مرة عام ١٩٠١ وكانت مــن نصــيب ويلهلم رونتغن (الفيزياء) ، ياكوب فانت هوف (الكيمياء) ، اميــل بيرينــغ (الطب) ، رينيه سوللى بريدوم (الأدب) فيليبرت باســى وهنــرى دونــان (السلام) .

١٢ ثانية فقط ... زمن أول رحلة طيران

ظل الناس يحلمون آلاف السنين بالطيران ، بل حاول بعضهم الطيران بتثبيت ريش الطيور على الذراعين ورفرفتهما كأجنحة الطيـر ... ففـى عـام ٨٨٠م قام عباس بن فرناس بمحاولة للطيران بعد أن صنع لنفسه جناحين مـن الريش ، ولكنه فشل فى محاولته ، وفى نحو عام ١٥٠٠ م رسم الفنان والمبتكر الإيطالى ليوناردو دافنشى جهاز الأورنيثوبتر ، وهى طائرة ذات جناحين خفاقين كأجنحة الطيور ، وفى عام ١٦٨٠ م أثبت العالم الرياضى الإيطالى جيوفـانى بوريللى استحالة أن يطير الإنسان عن طريق رفرفة الأجنحة، فقد أثبت بوريللى أن عضلات جسم الإنسان أضعف من أن تتمكن من تحريك الأسـطح الكبيـرة المطلوبة لرفع وزنه فى الهواء .

وفى عام ١٧٨٣ م استطاع فرنسيان أحدهما طبيب يدعى جان ف.بيلاتر دى روزييه والثانى يدعى الماركيز دى أرلاند تنفيذ أول طيران للإنسان داخـل بالون وتمكنا من الطيران لمسافة تزيد على ٨ كم فوق مدينة بـاريس ، وقـام بتصنيع هذا البالون فرنسيان يعملان فى مهنة تصنيع الورق هما الأخوان جاك وجوزيف منتجولفير ، وتم ملء المنطاد بالهواء الساخن الناتج عن حرق بعض الخشب والقش ، وهو ما رفعهما فى الجو.

وبعد ذلك قام الأخوان منتجولفير بتصنيع مناطيد ناجحة أخرى ، وأصبح طيران هذه البالونات حافزاً لمبتكرين آخرين ، فبدأوا فى استخدام غاز الهيدروجين – وهو غاز أخف من الهواء – لرفع بالوناتهم فى الهواء ، وكان التحكم فى البالونات وتوجيهها صعباً للغاية ، لكن المبتكرين استمروا فى إجراء تجاربهم عليها حتى استطاعوا فى منتصف القرن التاسع عشر ابتكار المنطاد (السفينة الهوائية) وقد زود المنطاد بمحركات ومراوح فأصبح أسلس قيادة من البالون ، الذى كان من غير الممكن التحكم فى خط سيره .

وفى هذه الفترة حول بعض المبتكرين انتباههم نحو الطائرات الشراعية التى هى أثقل من الهواء ، ففى عام ١٨٠٤ م قام السير جورج كايلى – وهو مبتكر بريطانى – ببناء أول طائرة شراعية ناجحة ولم تكن سوى طائرة صغيرة تطير دون ركاب .

أما أول طائرة شراعية تحمل راكب يتولى القيادة فقد صنعها الألمانى أوتو ليلينتال عام ١٨٩٠م لكن قيادة طائرته كانت فى غاية الصعوبة ، وقد أسس كايلى علم الديناميكا الهوائية لدراسة تأثير سريان الهواء حول الأجسام – وربما كان هو أول من وصف الطائرة على أنها ذات محرك وجناح ثابت – وأنها تندفع فى الهواء بواسطة المراوح الأمامية ، وفيما بين عامى ١٨٩١ و١٨٩٦ م استطاع أوتو ليلينتال الألمانى إجراء أول طيران شراعى ناجح يحمل راكباً يتولى بالفعل قيادة الطائرة ، وقبل نهاية القرن التاسع عشر قام مبتكرون آخرون بطلعات شبيهة وقد بنيت بعض هذه الطائرات الشراعية الأولى بصورة جيدة ، حتى أنها حملت طياريها مئات الأمتار فى الهواء ، ولكن قيادة الطائرات الشراعية كان فى معظم الأحوال أمراً عسيراً ، بالإضافة إلى أنها لم تكن مصممة لحمل الركاب أو البضائع ، فلم تكن لذلك وسيلة عملية من وسائل النقل .

وتتابعت المحاولات ... وأخيراً وفى ١٧ ديسمبر عام ١٩٠٣ م تمكن الأخوان الأمريكيان – أورفيل وويلبر رايت – اللذان كانا يعملان فى صناعة الدراجات من تصنيع أول طائرة تطير فى التاريخ وقاما بهذا العمل قرب بلدة كيتى هوك بولاية كارولينا الشمالية الأمريكية ، واستأثر أورفيل بالطلعة الأولى، فقطع خلالها ٣٧ متراً بطائرته المصنوعة من الأخشاب والأسلاك وقطع القماش فى ١٢ ثانية فقط .

ومع نجاح هذه التجربة استمر العمل المتواصل لتحسين تصميم الطائرة، وفى ثلاثينيات القرن العشرين بدأت الطائرات المصنعة من المعدن ، وأحادية السطح (أى ذات الجناح الواحد) تحل محل الطائرات الخشبية ، وثنائية السطح (أى ذات الجناحين) والمغطاة بقطع القماش ، وكان اختراع المحركات النفاثة فى خلال الثلاثينيات من القرن العشرين مصدراً لتزويد الطائرات بوحدات دفع ذات قدرات عالية ، وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥ م) استمر تقدم العمل فى تطوير الطائرات ، وفى بداية الخمسينيات من القرن العشرين بدأت طائرات السفر الجوى فى رحلات يومية لعبور المحيط الأطلسى دون توقف ، ومع نهاية خمسينيات القرن العشرين أصبحت طائرات الركاب النفاثة تؤدى دوراً مهماً فى تقريب جميع الدول مما جعل الانتقال فيما بينها ميسراً.

وفى ١٩٦٨م قام الطيارون الروس باختبار أول طائرة نقل فى العالم تتخطى سرعة الصوت وهى الطائرة تى يو ١٤٤ ، وفى ١٩٧٦ دخلت الطائرة كونكورد فى خدمة المسافرين وهى طائرة نقل تتخطى سرعة الصوت اشترك فى تصنيعها كل من بريطانيا وفرنسا ، وفى ١٩٩٥م دشنت الطائرة بوينج ٧٧٧ لخدمة المسافرين وهى أكبر طائرة نفاثة فى العالم ثنائية المحركات . وبدأ العالم أصغر كثيراً مما كان قبل ذلك بقرن من الزمان .

قناة بنما

قبل عام ١٩١٤ م كان السفر بين المحيطين الأطلسى والهادى يقطع بالدوران حول الطرف الجنوبى لأمريكا الجنوبية ، وحين جاء ذلك العام أصبح بالإمكان السفر بطريق قصير هو قناة بنما.

وقد شقت هذه القناة فى شريط الأرض الذى كان يربط بين الأمريكتين ، لتصبح بذلك الممر المائى الذى فصل القارتين إحداهما عن الأخرى.

ولقد ظل الناس سنوات كثيرة يفكرون فى هذا الطريق القصير ، ففى عام ١٨٨٠ م بدأ مهندس فرنسى مشروعاً لشق قناة عبر البرزخ واشتغل سبع سنوات وأنفق ملايين الدولارات لكنه لم يشق القناة ، إذ أعاقته إلى حد ما الحمى الصفراء التى فتكت بالكثير من العمال.

وفى عام ١٩٠٤م تولت حكومة الولايات المتحدة الأمر ، إذ كان العلماء قد كشفوا أن الحمى الصفراء يسببها البعوض ، ولهذا كان جزء من مشروع حفر القناة يتمثل فى مكافحة البعوض ، وعهد إلى الدكتور " وليم جورجاس " بمهمة حماية العمال من الحمى الصفراء فقام بعمله خير قيام ... وبطبيعة الحال لم يكن البعوض هو المشكلة الوحيدة ذلك أن حفر قناة طولها ٤٠ ميلاً ليس بالأمر السهل فى أى مكان ، وهناك لم تكن الأرض مستوية ، إذ كان ارتفاع

بعض الأجزاء يزيد على ثلاثمائة قدم فوق سطح البحر ، وفى بعض المواقع كان لابد من شق القناة عبر الصخور الصلدة.

وقرر المهندسون ألا يحاولوا شق القناة بحيث تكون فى مستوى سطح البحر خلال المسافة كلها ، ومع هذا اضطروا إلى نسف وتجريف أكثر من مائتى مليون طن من الصخر والتراب ، وكثيراً ما انهارت الأرض مما اضطرهم إلى بدء العمل من جديد ، وحدث مرة أن أفسد زلزال عملاً استغرق شهوراً كثيرة ... ولما لم تكن القناة قد حفرت كلها فى مستوى سطح البحر فقد اضطروا إلى إقامة الأهوسة التى هى أشبه بسلالم تستطيع السفن بواسطتها أن تصعد إلى أعلى نقطة فى القناة ثم تهبط من جديد.

وافتتحت القناة فى ١٠ أكتوبر ١٩١٣م وفى ذلك اليوم ضغط رئيس الولايات المتحدة على زر فتدفق الماء إليها ، وفى ١٥ أغسطس ١٩١٤م عبرتها أول سفينة ، وقد خضعت قناة بنما للولايات المتحدة الأمريكية بموجب اتفاقية بين البلدين انتهت عام ١٩٩٩م حين استعادت جمهورية بنما سيادتها على القناة بعد إدارة الولايات المتحدة لها لمدة ٨٥ عاماً.

برنارد شو ...
يكتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم

لا يمكن لمؤرخ أن يكتب عن المسرح العالمى دون أن يتوقف كثيراً عند برنارد شو (١٨٥٦ -١٩٥٠م) لما قدمه من نصوص تضمنت قيماً جمالية رائعة فى دنيا المسرح ، ويرى البعض أنه الوحيد الذى استطاع أن يملأ مكان شكسبير بعد قرون من وفاته ، بل أن اللغة الإنجليزية قد اشتقت مصطلحاً فى الكتابة ينسب إليه دليلاً على عبقريته وإبداعه .

ولد جورج برنارد شو فى ايرلندا بمدينة دبلن ، وكان الإبن الثالث لجورج كارشو ولوسيندا اليزابيث ، ينتمى أبوه إلى أسرة من النبلاء ، أما أمه فهى إبنة رجل من أهل الريف اهتمت بتعليمه الموسيقى وقد بدأ الطفل حياته بتلقى بعض الدروس من مربية خاصة فى بيت والديه ، كما تلقى بعض دروس اللغة اللاتينية من ابن عمه حتى جاء عام ١٨٦٧ فذهب إلى مدرسة ويسليان فى دبلن لكنه لم يتعلم شيئاً فذهب إلى مدرسة أخرى ، حتى وصل نهاية المطاف فى حياته المدرسية فى (المدرسة الإنجليزية للعلوم والتجارة) التى تركها سنة ١٨٦٧م.

لقد بدأ شو حياته العملية عام ١٨٧١م حين ترك المدرسة فاشتغل فى عمل كتابى صغير فى مخزن .

وظل شو يعمل فى الوظيفة الكتابية أربع سنوات ونصف حتى اعتزم الهجرة إلى لندن .

كان برنارد شو يرى فى لندن المركز الأدبى للغة الإنجليزية ، وقد أراد لنفسه أن يصبح ملكاً من ملوك الأدب ، وخلال تسع سنوات بين عامى ١٨٧٦-١٨٨٥م استطاع أن يربح ستة جنيهات وخمسة عشر شلناً ثمناً لمقال ، وخمسة شلنات أجراً على قصيدة ، وخلال تلك الفترة كان يعيش على معونة والده الذى ظل مقيماً فى ايرلندا وكان يبعث إليه بجنيه واحد كل أسبوع حتى توفى فى عام ١٨٨٥م .

وقد اشتغل شو لمدة شهور قليلة خلال عام ١٨٧٩م فى شركة اديسون للتليفونات بمدينة لندن ، وفى تلك الفترة كتب رواية " قبل الأوان " وفشل فى الوصول إلى ناشر ينشرها ، ثم كتب ثلاث روايات أخرى لم تنشر أيضاً وكان كتابه " اشتراكى بلا اشتراكية " أول ما نشر له مسلسلاً فى مجلة دورية اسمها "اليوم" وكان ذلك عام ١٨٨٤م ، ثم نشرت له دورية أيضاً كتاب " وظيفة كاشل بيرون " وفى عام ١٨٨٥م نشرت مجلة " ركنتا " كتابين من كتبه .

لقد كانت السنوات الأولى التى قضاها شو فى لندن غير مثمرة له من ناحية إنتاجه الأدبى ، ولكنها كانت التربة الخصبة التى نمت فيها مواهبه ككاتب مسرحى عالمى ، حتى قال بعض النقاد أنه أخذ مكان شكسبير بعد ثلاثة قرون من وفاة الأستاذ الأول للدراما.

وعندما بدأ الكتابة للمسرح عام ١٨٨٥م كان مازال متأثراً بمسرحيات ابسن وبالنهج الواقعى والذى من مقتضاه (أن الحقيقة تطو ، ولا يطى عليها) ، وكانت أولى مسرحياته " بيوت الأرامل " وقد عرضت عام ١٨٩٢ فى مسرح تجريبى صغير .

نشر شو مسرحياته الثلاث الأولى فى مجموعة تحت عنوان (ثلاث مسرحيات غير سارة) ثم ظهرت بعد ذلك مسرحية (السلاح والإنسان) التى تعتبر أنجح مسرحياته لدى الجمهور العالمى ، ثم بدأ غزو مسرحيات شو لأعظم مسارح العاصمة الإنجليزية ومسارح أمريكا ، ولقيت نجاحاً رائعاً .

ومن أهم مسرحياته " الإنسان والإنسان الخارق " و " بيجماليون " التى تعد من أهم أعماله الكوميدية و " بيت القلب الكبير " و " كانديرا " ... وتعتبر لغة برنارد شو من أهم ما قدم للغة الإنجليزية ، حيث أدخل النقاد صفة جديدة على اللغة الإنجليزية وهى (Shavian) نسبة إلى برنارد شو لتعبر عن براعته اللغوية وتميزه فيها بأسلوب خاص .

وكانت تظهر له وعلى فترات متباعدة بعض الكتابات غير المسرحية ، ككتابه (حديث العقلاء) عن الحرب العالمية الأولى ، حيث انتقد فيه دخول إنجلترا الحرب العظمى الأولى نقداً مباشراً ، وأقبل الجمهور على شراء هذا الكتاب بشكل منقطع النظير .

وقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للشخصية الدينية عند برنارد شو حيث رأى فيه تلك الحماسة الدينية وذلك الجهاد فى سبيل التحرر من السلطة ، وهو يرى أن خير ما فى حياة النبى أنه لم يحاول أن يسيطر على عقول المؤمنين ، ولا أن يحول بين المؤمن وربه ، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى ، ولسنا ندرى على التحقيق فى أى الكتب درس برنارد شو تاريخ النبى ، ولا التطور العقلى الذى درج فيه حتى وصل إلى هذه المبادئ ، ويؤكد الكثيرون أنه قرأ القرآن الكريم قراءة الفاحص الدارس، وتشبع بروح القرآن الكريم فى كثير مما كتبه عن النبى وعن الإسلام .

كان برنارد شو معجباً بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يرى فى حياة

الجهاد التى عاشها شبهاً بالحياة المثالية التى أراد هو نفسه أن يعيشها ويلغ بـه الإعجاب أن حاول قبل سنة ١٩١٠ م أن يكتب مسرحية عن " محمد " صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الرقابة الإنجليزية رفضت ذلك ، حيث رأت أنـه لا ينبغـى تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم على المسرح لأن المسـلمين لـن يتقبلوا ذلك لانهم يرون أن الرسول أسمى من أن يتم تجسيده فى عمل مسرحى .

عرض على شو أكثر من مرة أن يرشح نفسه لعضوية مجلس العمـوم البريطانى ولكنه كان يرفض وظل يقاوم طيلة حياته كل محـاولات التكـريم ، وكان يعتبر كل عرض يتلقاه من إحدى الجامعات لمنحـه الـدكتوراه الفخريـة أولتقليده وساماً ، اعتداءً على استقلاليته وقد تردد كثيراً فى قبول جائزة نوبـل حين عرضت عليه عام ١٩٢٥ ولكنه قبلها وقال : (إن وطنى ايرلندا سيقبل هذه الجائزة بسرور ولكننى لا أستطيع قبول قيمتها المادية ، إن هذا طوق نجاه يلقى به إلى رجل وصل فعلاً إلى بر الأمان ، ولم يعد عليه من خطر) وتبرع بقيمته الجائزة لتأسيس مؤسسة تشجع نشر أعمال كبار مؤلفى بلاد الشمال إلى اللغـة الإنجليزية .

تولستوى
أعظم أدباء روسيا

عاش تولستوى (١٨٢٨ – ١٩١٠ م) فى إحدى الأسر الروسية العريقة الحسب والثروة ، ويرجع أصل آل تولستوى إلى القرن السادس عشر ، وكان جده الأكبر لوالده أول سفير لروسيا لدى تركيا عام ١٧٠١ م ، وكانت والدته الأميرة مارى فولكونسكى ... كان يقوم بتعليمه مدرسون فرنسيون ، فكانت المصادر الأولى لتكوينه الثقافى والفكرى مستمدة من النظم الفرنسية ولم يتصل بالثقافة الروسية إلا فيما بعد.

عمل ضابطاً فى الجيش وكان فى أخلاقه ذلك العبث المستهتر الذى يصاحب الجاه والمال وتلك القسوة التى اشتهر بها معظم ضباط روسيا الارستقراطيين ... ولكنه فجأة بدأ يتحول عن هذه الحياة ولكنه لم يكن قد نضج للثورة بعد ، فآثر أن ينطوى على ذاته وينكب على الأدب الذى كان قد بدأ يجذبه.

وأصدر كتاب " الطفولة " وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، ثم كتب فى عام ١٨٥٤م " قصص من سباستيول " بينما كان فى المعسكر فى حرب القرم فنال به حظاً من الشهرة ، وفى عام ١٨٥٧م اعتزل الخدمة فى الجيش وقام بجولة فى الخارج ، ورجع منها ناقماً على الحضارة المادية للغرب ، وبعد

ذلك تولى منصباً قضائياً ، وقبل أن يصدر قانون تحرير رقيق الأرض في روسيا ، كان قد منح العبيد في أرضه حريتهم ، كما أنشأ مدرسة لأبناء الفلاحين ... وأصدر صحيفة يومية لترويج آرائه التربوية.

وفي عام ١٨٦٢م تزوج وبعد فترة قصيرة من زواجه أصدر روايتي "الحرب والسلام" و " آنا كارنينا " وهما أعظم أعماله الأدبية ... وتمثل رواية الحرب والسلام قطاعاً هائلاً من تاريخ غزو نابليون لروسيا ، أما آنا كارنينا فتصور فاجعة المرأة الخارجة على الأسرة والمتخبطة بين دعوة الحب وواجب الأمومة .. وقد كان تولستوى شديد العطف على المظلومين ويفهم بسطاء الناس وعظماءهم على السواء.

وفي عام ١٨٧٦م بدأ تولستوى يشعر بعدم ارتياح ، وأخذت فكرة اقتراب موته تنمو وتتسلط عليه ، وتولاه شوق إلى إرساء حياته على أسس دينية وتحول في البداية نحو العقيدة الأرثوذكسية التي كان قومه يعتنقونها أملاً في الدين ، ولكنه لم يستطع تقبل طقوس الأرثوذكسية ونبذ الكنيسة ، وقد روى قصة تحوله كاملة في كتابه " اعتراف " وبدأ بعد ذلك يستخلص لنفسه عقيدة مسيحية خاصة من صنعه وحده ... وفي عام ١٩٠١م قضى عليه المجمع الكنسي الروسي بالحرمان من الكنيسة ، ومن ناحية أخرى تعرض كثير من أتباعه للسجن والنفي إلى سيبيريا لأنهم رفضوا أن يؤدوا الخدمة العسكرية.

وقد أدى التحول الديني له إلى انتهاج أسلوب جديد في الحياة ، فأصبح يرتدي ما كان الفلاحون يرتدون ، ويؤدي كثيراً من الأعمال اليدوية وتعلم صناعة الأغذية وابتعد عن اللحوم ... وقد غضبت زوجته وأولاده من تعاليمه عدا ابنته " الكسندرا " لأنهم كانوا يرون أن ثروته من حقهم ، فتنازل لزوجته عن كل ثروته بما في ذلك كل حقوق تأليف ما كتب قبل ١٨٨٠ م ، ولكن الخلافات تفاقمت بينهما ... وفي ٢٨ أكتوبر ١٩١٠م تسلل من البيت تصحبه

إبنته الكسندرا فى محاولة للهروب إلى خارج روسيا ... وجلس فى عربة القطار ، ولكن روسيا بأسرها كانت قد علمت بمحاولة الهروب ... وتدخلت الحكومة وكلفت الشرطة بمنع الرجل من اجتياز الحدود .

وأدرك تولستوى أن الفرار محال ، وكان قد أعياه التعب فنزل فى محطة " استابوفو " ونام على سرير حديدى يعالج سكرات الموت ... واستمر مرضه حتى يوم ٧ نوفمبر ١٩١٠م حين لفظ أنفاسه الأخيرة ، ونقل إلى "ياسنايا" حيث دفن بلا طقوس دينية.

إيليا أبو ماضى يهدى لمصر ... ديوانه الأول

عندما أصدر إيليا أبو ماضى ديوانه الأول " تذكار الماضى " عام ١٩١١م أهداه إلى مصر بهذه الكلمة " أيتها الأمة الودودة . هذا ديوانى الذى نظمته تحت سمائك ، وبين مغانيك ، أرفعه إليك لا طلباً للمثوبة ، ولا ابتغاء للشكر ، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحى من العطف عليك ، والتعلق بك ".

كان إيليا أبو ماضى من أعظم الشعراء الذين أهداهم الشرق إلى المهجر فى أمريكا الشمالية ، ولد فى قرية " المحيدثة " بلبنان عام ١٨٨٩م ، وترك المدرسة فى سن الحادية عشرة متوجهاً إلى الاسكندرية ، ساعياً إلى تحصيل الرزق فاشتغل فى التجارة منذ عام ١٩٠٢م ، واستغل أوقات فراغه فى المطالعة والدرس ونظم الشعر ، وقبل أن يبلغ العشرين من العمر أصدر ديوانه الأول وأهداه إلى مصر .

وفى عام ١٩١٢م قرر إيليا أبو ماضى الهجرة إلى الولايات المتحدة ، وأقام فى اوهايو أربع سنوات ، وفى عام ١٩١٦م انتقل إلى نيويورك ، وتعرف على جبران خليل جبران ، وبعد ثلاثة أعوام أصدر ديوانه الثانى " ديوان إيليا أبوماضى " ... وبعد عشر سنوات من إقامته فى نيويورك أصدر ديوان "الجداول" عام ١٩٢٧م ، وفى عام ١٩٤٦م أصدر ديوانه " الخمائل " ، وقد كان

التحرير فى الصحف مورد الشاعر الوحيد طيلة عشر سنوات ، فعمل عقب وصوله إلى نيويورك محرراً فى جريدة " مرآة الغرب " لصاحبها نجيب دياب ، وفى عام ١٩٢٩م انشأ لحسابه مجلة السمير الشهرية ، وكون مع رفاقه من الأدباء العرب الرابطة القلمية التى كان لها الفضل فى نشر مذهبه الأدبى ... توفى فى نيويورك عام ١٩٥٧م.

ويعتبر إيليا أبو ماضى من أهم شعراء المهجر فى أمريكا الشمالية ، ومن مميزات أسلوبه الشعرى وحدة الموضوع وشدة الارتباط بين أجزاء القصيدة وعناصرها بالإضافة إلى الفكرة الموحدة ، لذلك وضع عناوين لقصائده تناسب ما تناولته القصيدة.

أحدث تجديداً فى الكلمة الشعرية ، وجعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية من غير أن تخرج من إطار البساطة والوضوح .

اشتهر إيليا أبو ماضى بالتفاؤل وحب الحياة والإيمان بجمالها ، ودعا الناس إلى الأمل ، كما دعا إلى المساواة .

من شعره :-

كن بلسماً إن صار دهرك أرقما ... وحلاوة إن صار غيرك علقما

إن الحياة حبتك كل كنوزها ... لا تبخلن على الحياة ببعض ما

أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا ... أى الجزاء الغيث يبغى إن همى ؟

من ذا يكافئ زهرة فواحة؟ ... أو من يثيب البلبل المترنما؟

يا صاح خذ علم المحبة عنهما ... إنى وجدت الحب علماً قيماً

لو لم تفح هذى ، وهذا ما شدا عاشـــت مذممة وعـــاش مذممـــا

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا لولا الشـــعور الناس كانوا كالدمى

أحبب فيغدو الكوخ كونا نيراً وأبغض فيمسى الكون سجناً مظلماً

تيتانيك

فى ١٠ أبريل ١٩١٢ كان العالم يترقب بلهفة ذلك الحدث التاريخى ، وهو قيام السفينة العملاقة تيتانيك بأولى رحلاتها من لندن إلى نيويورك ، حاملة على متنها أثرياء أوربا ... لم تكن تيتانيك شيئاً هيناً فى ذلك الوقت ، فقد صاحبها حملة دعائية كبيرة ، وأشادت الصحف بذلك الإنجاز الرائع الذى حققه الإنسان ، وعبرت عنه تلك السفينة التى وصفتها مجلة بناؤو السفن بأنها " غير قابلة للغرق ".

فعلى رصيف ميناء كوين ستون بإنجلترا كان الاحتفال بالغاً بهذا الحدث الكبير ، فاصطف آلاف الناس من المودعين وغير المودعين يتأملون بإعجاب السفينة العملاقة وهى راسية فى الميناء فى قوة وشموخ والمسافرون وهم يتجهون إليها فى سعادة وكبرياء ، لا شك أن الكثيرين منهم كان يتمنى فى قرارة نفسه ، لو يكون له مكان على ظهر السفينة التى صممت لتكون الأضخم والأجمل والأكثر راحة وأماناً من كل ما صنع من السفن قبلها ، حيث صنع هيكلها بضعفى سمك السفن العادية وبوزن ٤٦٣٣٠ طناً وبطول ٢٥٠ متراً ، وحين تحركت من رصيف ساوثمبتون بإنجلترا يوم ١٠ أبريل عام ١٩١٢ وراحت تشق الأمواج بخيلاء ومهابة متجهة عبر المحيط الأطلسى إلى

نيويورك، ساعتها لم يتصور إنسان بأن هذه الرحلة ستكون الأولى والأخيرة للتيتانيك ، فبعد ثلاثة أيام فقط وعندما كانت السفينة تعبر المحيط فى ليل شديد البرودة اصطدمت ميمنتها بجبل جليدى أحدث فيها شرخاً واسعاً ، ووجد العمال فى غرفة المحركات أنفسهم فجأة وسط طوفان الماء المتجمد المندفع إلى السفينة، وجه الربان نداءات الاستغاثة ولكن أقرب سفينة كانت على بعد أربع ساعات على الأقل ، وحين أنزلت قوارب النجاة امتلأت بأكثر من حمولتها بالنساء والأطفال والعجائز ، وما هو إلا وقت قصير حتى غاصت مقدمة السفينة فى الماء لترتفع مؤخرتها فى الهواء وعلى وقع الموسيقى الحزينة وتدافع الركاب المختلط بصيحات الرعب غاصت التيتانيك إلى الأعماق مع ١٤٧٠ راكباً ثم انغلق عليها سطح الماء ولم ينج من ركابها سوى ٧١١ راكباً فقط ، وانتهت بذلك أسطورة تيتانيك .

أول أديب من الشرق يفوز بجائزة نوبل

قال عنه غاندى " إنه منارة الهند " ... إنه رابندرانات طاغور شاعر الهند الكبير الذى سحر الغرب بكتاباته ، ثم انتشرت ترجماته فى العالم كله ، حتى استحق جائزة نوبل للأدب عام ١٩١٣ متجاوزاً الروائى العظيم تولستوى الذى كان فى مقدمة المرشحين للجائزة ... لقد أبدع طاغور على مدى نحو ستين عاماً ، فكان معلماً روحياً بالدرجة الأولى ، ومجدداً أدبياً واجتماعياً ، وفيلسوفاً وروائياً ومسرحياً ورساماً ، وقبل ذلك كله شاعراً ، كان ينهل من إرث روحى عريق فى البنغال ، ومن تجربة داخلية عميقة كانت ينبوعاً لا ينضب للإلهام والإبداع .

عاش رابندرانات طاغور بين عامى (١٨٥٧ – ١٩٤١ م) كان والده من كبار روحانيى البنغال ، وكان يعيش فى عزلة مستمرة لا يتركها إلا لضرورة الاستمرار وتجدد الحياة ، كما نشأ رابندرانات طاغور فى جو من الحساسية والشفافية ، وكشفت له زيارتان قام بهما لوالده فى الهملايا عن آفاق جديدة وعن تجربة صوفية كان لها أثر كبير فى حياته ، ويمكن اختصارها بعبارتين : محبة الطبيعة ، ومحبة الله .

وفى الرابعة عشرة من عمره توفيت والدته ، وفى العام التالى انتحرت

شقيقته مما سبب له صدمة هائلة ، وتوالت الأحداث المؤلمة فى حياته ، فبين عامى ١٩٠٢ ، ١٩١٨ انتزع منه الموت زوجة وثلاثة من أطفاله ووالده ، ومع ذلك فقد جعل منه صفاءه الواسع وضبطه لنفسه إتساناً نادراً ، لم يكن الموت سراً بالنسبة له ولم يكن ليستدعى الألم ، وهكذا كانت إحدى أغنياته التى استلهمها غاندى منه تقول " أنا هذا البخور الذى لا يضوع عطره ما لم يحرق ".

وقد درس طاغور لغة قومه " السنسكريتية " وآدابها ثم الإنجليزية التى تعرف من خلالها على آداب أوربا ، وكان فى شبابه الأول شديد الانشغال بأمور وطنه الأصلى – البنغال – مهتماً بكل ما يتصل بنهضته ، كما كان فى نفس الوقت مرتاباً من الإنجليز . والواضح أنه كان محقاً فى ريبته ، فقد وحد الإنجليز الهند والبنغال فى مستعمرة ضخمة ألغت الوجود البنغالى ، فأصبح طاغور موزعاً بين مشاعره كمواطن بنغالى ، وبين ولائه للكيان الكبير الهند ، لقد تولد هذا الصراع الداخلى فى زمن كان إقباله فيه على معطيات الحضارة الغربية العلمية والجمالية والفلسفية فى تزايد ، وقد تزامن ذلك – أيضاً – مع تواجده المؤثر داخل أسرته الكبيرة التى كانت تعيش فى بيتين كبيرين بالقسم البنغالى من مدينة كالتكا . وقد تميز طاغور بين أشقائه وأبناء عمومته باستقلالية الرأى والشجاعة فى اتخاذ المواقف الحاسمة فى الأوقات الحرجة ، وقد ظهر ذلك – فيما بعد – فى كثير من كتاباته ، وفى حياته العامة ومن أمثلة ذلك موقفه الواضح والمحدد من بعض مظاهر الوثنية فى الطقوس الخاصة بطائفة البراهمة التى كان يرتدى وشاحها المقدس وينشد تراتيلها . ثم نراه فيما بعد ينقلب على الزعيم الروحى الهندى غاندى ، وينتقد اعتماده على المغزل وبساطة العيش – كوسيلة سلبية لمقاومة الاستعمار الإنجليزى – معتبراً ذلك تبسيطاً وتسطيحاً للأمور أكثر مما ينبغى .

وكان قد نشر – فى الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٢ م أهم أعماله باللغة

البنغالية وهى : جيتانجلى أو (القربان الشعرى) وروايته الشهيرة (جـورا) ومسرحية واحدة هى (كتب البريد) بالإضافة إلى صفحات من مذكراته .

وكانت البنغال تموج بالاضطرابات فلما ظهـرت روايتـه (جـورا) توترت العلاقة بينه وبين بنى وطنه – متمثلين فى دعاة التحرر والهندوس – إذ كانت الرواية تفضح التعصب الهندوسى من خلال قصة حب بـين فتـى نشـأ هندوسياً مخلصاً وفتاة من طائفة البراهمة ، ولقد لقيت الرواية استياءً بالغاً مـن مواطنيه فنصحه خلصاؤه بالابتعاد فى رحلة إلى إنجلترا فى عام ١٩٠٩ م ، ولم تكن تلك أول مرة يزور فيها بلاد الإنجليز غير أنها كانت زيارة ناجحة إذ كان قد أصاب بعض الشهرة فى الأوساط الأدبية الإنجليزية من خلال بعض أشعاره المترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، وقد استمر اتصال طاغور بحركة الأدب فـى إنجلترا حتى بعد أن انتهت تلك الرحلة وعاد إلى وطنه فأصبح يحظى بمكانـة متميزة فى الحياة الأدبية الإنجليزية وذلك ما شجعه على معاودة التفكيـر فـى الارتحال بأسرته فى عام ١٩١٢ م حيث تعرف فى لندن على الشاعر الإنجليزى و.ب.ييتس ، ونال إعجاب الشاعر إزرا باوند وبعض الناشرين الإنجليز ، وكان طاغور خلال الرحلة البحرية الطويلة قد قام بترجمة بعض قصائد من ديوانـه (جيتانجالى) إلى الإنجليزية ، نشرتها دار ماكميلان الشهيرة .

وقد كان الترحيب به كافياً لدفعه إلى تصدر قائمة المرشحين للحصـول على جائزة نوبل ، فنالها فى العام التالى لوصوله إلى إنجلترا ، وقد كان عـام ١٩١٣ م نقطة تحول فى حياة طاغور ، فقد لقيت قصائده (جيتانجالى) ترحيباً من القراء والنقاد وصار نجماً يسعى إلى محاضراته جمهور المثقفين الإنجليز ، وفى نوفمبر من نفس العام – بعد إعلان الجائزة – صار شخصية عالمية .

وفى عام ١٩١٨ أسس مدرسة فلسفية معروفة باسم " فيسفابهاراتى " أو الجامعة الهندية للتعليم العالى ، فى اقليم شانتى نيكتان بغرب البنغال.

أسطورة راسبوتين

ولد جريجـــورى بـــافيموفيتش راســـبوتين (١٨٧٢ – ١٩١٦م) فـــى سيبيريا، وكانت أسرته تعمل فى فلاحة الأرض وكان من الممكن أن يظل هـــذا الرجل فى دائرة النسيان لا يعرف الناس عنه خارج نطاق قريته فى سيبيريا أى شئ ، فقد كان من الممكن أن يظل إنساناً مغموراً فى محيط القرية التى ولد فيها ولكن شاءت الظروف أن يستدعى إلى القصر الإمبراطورى بعـــد أن ســـمعت زوجة القيصر (الكسندرا فيدوردفنا) بأن هذا الفلاح القادم فى ســـيبيريا يملـــك معجزات الشفاء من الأمراض حتى المستعصية منها ... وأنها علمت بأن على يديه تم شفاء العديد من هذه الأمراض ... وكان لها ابن وهو ولى العهد مصاباً بمرض سيلان الدم ورثه عن أمه حفيدة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى ، ومات به من قبل أخ الملكة ، وإثنان من أبناء الاخوة ، وخالها ، وكان هذا المـــرض الذى ألم بولى العهد مصدر قلق شديد لأمه ولوالده القيصر ، وكان من الطبيعى بعد أن سمعت بأن راسبوتين لديه القدرة على شفاء الأمراض أن تستدعيه إلـــى القصر ، وبالفعل استطاع الرجل بقوة إيحائـــه والاســـتعانة بـــبعض الطقـــوس الغامضة أن يخفف الألم عن ولى العهد الذى استجاب لهذا الإيحاء وشفى مـــن المرض ... فشعرت الإمبراطورة بسعادة غامرة لشفاء ولدها ، وأيقنت أن هـــذا

الكاهن يملك أسراراً لا يعرفها الناس ، فقربته منها ، وبالتالى بالقيصر ، الذى آمن هو الآخر بقدرة هذا الكاهن على الإتيان بما يشبه المعجزات ، وفتحت أمام هذا الكاهن أبواب القصر ، وأيضاً فتحت أمامه كل الأبواب الموصدة ، ثم سرعان ما تملك السلطة والنفوذ ، وظل على ذلك قرابة عشر سنوات كاملة كانت له الكلمة الأولى فى القصر الإمبراطورى .

ولاحظ الناس تغير الإمبراطورة التى آمنت براسبوتين ، وبأنه إنسان يملك قوة غيبية قوية ، وأصبح مستشارها الخاص المؤتمن على أسرارها ولم يكن الرجل بهذا النقاء ولا هذه الشفافية التى اعتقدته الإمبراطورة ، بل كان على العكس من ذلك ، إنساناً فاسداً ليس فوق مستوى الشبهات ، بل عرف الكثير من الناس عنه مدى فساده وطغيانه وافتقاده للأخلاق الكريمة ، بل رآه الكثيرون على حقيقته إنساناً عربيداً ، يجرى وراء النساء أو تجرى النساء وراءه ، خاصة أنه كان يملك عينين نفاذتين ساحرتين كانت وسيلته للسيطرة على الآخرين .

وبلغ من قوة نفوذه أنه فى ديسمبر سنة ١٩١٦ م استطاع أن يفرض (ستويرمر) رئيساً على مجلس الدوما (البرلمان) رغم معارضة النبلاء والإمبراطورة الأم ذاتها .

شعر العديد من أبناء روسيا بخطر هذا الكاهن القادم من أعماق سيبيريا واستطاع أن يسيطر على الحكم فى روسيا ، كما شعر أيضاً بعض النبلاء الروس بذلك فقرروا التخلص من هذا الكاهن الذى أصبح نفوذه أشبه بالأساطير خاصة نفوذه الطاغى على الإمبراطورة .

وبينما كان راسبوتين يتعافى فى المستشفى من الطعنات التى تلقاها فى محاولة لاغتياله ، كان القيصر نيقولا يحشد قواته استعداداً للحرب العالمية الأولى التى جلبت كارثة على وطنه ، حيث فقد أكثر من أربعة ملايين روسى

ارواحهم ، وبالعودة إلى سان بطرسبرج ومع غياب القيصر ، استطاع راسبوتين اكتساب المزيد والمزيد من القوى السياسية ، وساهم فى تعيين وطرد الوزراء ، وبنفوذه الطاغى على قرارات القيصر السياسية ، زاد اللوم الموجه للراهب السيبيرى على المشاكل التى عانت منها البلاد حتى أن مدينة سان بطرسبرج أصبحت تعرف باسم " مدينة إيليس ".

وفى ديسمبر عام ١٩١٦ كتب راسبوتين خطاباً للقيصر يتنبأ فيه بقتله وبقاتليه المحتملين ، وكتب يقول " إذا قتلنى أقاربك فلن يبقى أى فرد من عائلتك حياً لأكثر من عامين ، ولن يبقى أى من أولادك أو أقاربك ، فسوف يقتلهم الشعب الروسى ... سأقتل ، لم يعد لى وجود فى هذه الحياة ، صلِ أرجوك ، صلِ ، وكن قوياً ، وفكر فى عائلتك المصونة ".

وبعد ثلاثة وعشرين يوماً فقط ، قتل اثنان من أقارب القيصر نيقولا الثانى راسبوتين ، وبعد مرور تسعة عشر شهراً على قتله أعدم قيصر روسيا وعائلته بأيدى الثوار البلشفيين ، فقد تزامن مع نبوءته أن حضر راسبوتين لمقابلة الأمير فيليكس يوسوبوى زوج إيرينا إينه أخ القيصر ، وأراد يوسوبوى قتل راسبوتين ، شأنه شأن ابنا عم القيصر الغراندوق ديميترى بافالويتش ، والسياسى فلاديمير بيرشيكفيتش ، وتآمر الثلاثة معاً على قتل راسبوتين والحفاظ على سلالة العائلة المالكة .

وفى ليلة ١٩١٦/١٢/١٦ دعا يوسوبوى راسبوتين إلى قصر مويكا بحجة أن إيرينا التى يشاع عنها أنها أجمل امرأة فى سان بطرسبرج تريد مقابلته، وبينما كان ينتظر ظهورها ، قدم رجل لراسبوتين كعك وخمر مدسوس بهما سماً مميتاً وقد أصيب المتآمر بالهلع لما بدا من حصانة راسبوتين ضد السم، ولم يستطع يوسوبوى السيطرة على نفسه فنزع مسدسه وأطلق النيران على راسبوتين وبصعوبة بالغة ترنح راسبوتين خارجاً إلى ساحة القصر حيث

كان بفالوفيتش وبيرشيكفيتش فأطلق برشيكفيتش النيران ثانية على راسبوتين المترنح ، وضرباه بهراوة وقيداه قبل أن يلقيا بجسده فى نهر نيفا ، وعندما تم العثور على الجثة بعد يومين دل تشريحها الذى كشف عن وجود مياه فى الرئتين أن راسبوتين كان ما زال حياً عندما القى به فى النهر ، وفسر العلماء عدم تأثره بالسم باصابته بنقصان الحمض المعوى ويقول البعض أن معاقرته للخمر أبطلت مفعول السم ... ولكن انتشرت الإشاعات بأنه كان يتعاطى كميات ضئيلة من السم يومياً ليحمى نفسه فى حالة أن حاول أحد قتله .

وكانت نهاية راسبوتين علامة على بداية النهاية للقيصر نيقولا والإمبراطورة الكسندرا ، فبعد عشرة أسابيع فقط من وفاته أطاحت الثورة الروسية التى اندلعت عام ١٩١٧ بأخر جيل من سلالة رومانوف وبعد مرور أقل من عامين قامت فرقة بإعدام القيصر نيقولا وعائلته بأكملها فى سيبيريا .

لينين
أول رئيس للإتحاد السوفيتى

ولد فلاديمير ايليتش أوليانوف فى ٢٢ أبريل ١٨٧٠م فى مدينة تـدعى سيمبيرسك ، أما لقبه " لينين " فمأخوذ من اسم نهر سيبيرى يدعى " لينا ".

كان والده معلماً ، وقد تلقى لينين دروسه الأولى فى منزله وهـو فـى الخامسة ، ثم دخل المدرسة وهو فى التاسعة ، وفى ذلك الوقت كانت روسيا قد بدأت تتحول بسرعة إلى دولة صناعية ، وكانت قطاعات واسعة من الشعب تئن تحت وطأة الجوع.

توفى والده وهو فى السادسة عشرة ، وفى السنة التالية ١٨٨٧م أعـدم أخوه ألكسندر شنقاً بتهمة الاشتراك فى مؤامرة لاغتيال القيصر ، وقد تركت هذه الحادثة أبلغ الأثر فى نفسه.

فى السنة نفسها أنهى لينين دروسه الثانوية بامتيـاز ، وفـى الخريـف انتسب إلى جامعة قازان ولكنه طرد منها بسبب تزعمه لفئة احتجت على انعدام الحرية فى الجامعة . وقد حاول عدة مرات تقديم طلبات للعـودة إلـى متابعـة دروسه ، ولكنها رفضت كلها ، وأخيراً وافقت جامعة بطرسبرج على انتسـابه إليها ، وحصل لينين على شهادة الحقوق ١٨٩١م ثم بـدأ العمـل فـى مكتـب للمحاماة فى سامارا.

وبعد شهرين من عودته إلى بطرسبرج ألقى القبض عليه فيما هو يستعد لإصدار جريدة " قضية العمال " وبقى رهن التحقيق أكثر من عام إلى أن صدر بحقه الحكم بالنفى إلى سيبيريا ١٨٩٧م ، وأمضى فترة النفى فى الكتابة بعد زواجه من ناديا كروبسكايا ١٨٩٨م التى كانت هى الأخرى منفية بسبب نشاطاتها السياسية ، وأهم ما كتبه هناك " تطور الرأسمالية فى روسيا " .

بعد انتهاء مدة نفيه فى مطلع ١٩٠٠م غادر لينين إلى ألمانيا للمساعدة فى إصدار جريدة الحزب " الشرارة " ثم جريدة " الفجر " وكانتا ممنوعتين وتوزع أعدادهما بعد تهريبها إلى روسيا ، وهناك بدأ فلاديمير ايليانوف يستعمل اسم (لينين) كما فعل سواه من الكتاب الذين اتخذوا أسماء مستعارة لتضليل بوليس القيصر السرى.

خلال ذلك انقسم الحزب إلى جماعتين : البلشيفيين (ومعناها بالروسية الأكثرية) والمانشيفيين (الأقلية) بسبب التنظيمات الداخلية للحزب ، وأهمها رغبة البلشيفيين فى اقتصار الانتماء إلى الحزب على المناضلين الثوريين ، ورغبة الأقلية فى أن يكون باب الانضمام مفتوحاً أمام الجميع.

مع بداية عام ١٩٠٠م بدأت تتكون فى روسيا نقمة عارمة ضد القيصر بسبب تردى الأوضاع ، وارتفعت المطالبات بمزيد من الحريات السياسية مثل السماح للفلاحين بزراعة الأراضى التى يمتلكها الإقطاعيون ، وزيادة أجور العمال وتحسين ظروف العمل ، وإنهاء الحرب ضد اليابان.

يوم الأحد ٢٢ يناير ١٩٠٥م نظمت مظاهرة اشترك فيها أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مواطن فى بطرسبرج ، وكانت مظاهرة سلمية تهدف إلى إيصال المطالب الشعبية إلى القيصر ، ولكن رجاله أطلقوا النار على المتظاهرين وقتلوا عدة مئات منهم ، وكانت تلك هى الشرارة التى أشعلت الثورة الروسية وامتدت

على درجات متفاوتة من الحدة ، حتى سقوط النظام القيصرى فى ١٩١٧م ... واشتهر هذا اليوم التاريخى بيوم الأحد الدامى.

وبحلول عام ١٩١٧ م كان الشعب الروسى يئن تحت وطأة الفقر ، وبدا أن المجاعة على الأبواب ، وظهر نقص فى المواد الغذائية على اختلافها حتى الخبز ، والحكومة عاجزة عن عمل أى شئ ، وبدأت المظاهرات العارمة ، ورفض الجنود هذه المرة تنفيذ أوامر قياداتهم بإطلاق النار ، ما أضطر القيصر إلى التنازل عن العرش وتسليم السلطة إلى حكومة برئاسة الأمير جورج ليفوف (١٥ مارس ١٩١٧م).

عاد لينين إلى روسيا ، وكذلك معظم قيادات الحزب البولشيفى الذين كانوا منفيين إلى سيبيريا ، وفى ١٦ أبريل ١٩١٧م وصلوا إلى بتروغراد واستقبلوا استقبال الأبطال.

وفى هذه الأثناء شكلت حكومة جديدة برئاسة الكسندر كيرينسكى ، وأصدرت أمراً بإلقاء القبض على لينين بتهمة العمالة للألمان ، فغادر إلى فنلندا حيث كتب واحداً من أهم أعماله " الدولة والثورة " .

عاد لينين إلى بتروغراد فى أكتوبر ١٩١٧ م ودعا الهيئة المركزية للحزب إلى إعلان الثورة حالاً.

كانت حكومة كيرينسكى ضعيفة ، وكان ليون تروتسكى ، أحد القادة البارزين فى الحزب ، يحظى بولاء مجموعات كبيرة من الجنود ، وأعلن بعض فرق البحرية تأييد الثورة ، وهكذا قرر البلاشفة التحرك وسقطت بتروغراد بأيديهم دون مقاومة تذكر ، وفى موسكو كانت المقاومة أشد ، إلا أن البلاشفة سيطروا على المدينة فى أقل من أسبوع ، وهكذا صارت كل روسيا تحت سلطتهم ، واستطاعوا اكتساب ثقة الأهالى بالشعار البسيط الذى رفعوه : " الخبز والسلام والأرض للجميع ".

اجتمع مجلس السوفيت ، وضم ممثلين عن كافة الأقاليم الروسية ، وانتخبوا " مجلس مفوضى الشعب " الذى انتخب لينين رئيساً له .

بذل لينين جهوداً جبارة لإنهاء الحرب مع ألمانيا ، مقدماً بعض التنازلات فى المقاطعات التى كانت تحت حكم القياصرة كفنلندا وبولندا ، وهكذا وقعت معاهدة السلام فى بريستيلوفسك فى ٣ مارس ١٩١٨م.

وفى العام نفسه طلب لينين تغيير اسم الحزب من حزب " العمل الديمقراطى الاجتماعى الروسى " إلى الحزب " الاشتراكى (الشيوعى) الروسى".

فى شهر أغسطس تعرض لينين لمحاولة اغتيال ، فأصيب برصاصتين ولكنه نجا من الموت ، إلا أن واحدة منهما بقيت فى عنقه.

فى عام ١٩٢١م أصدر لينين برنامجاً سماه "السياسة الاقتصادية الجديدة" معطياً الحرية للمزارعين وصغار المنتجين للتصرف بمنتجاتهم ، سامحاً بالتجارة الحرة ، وداعياً الأجانب إلى الاستثمار فى روسيا ، مما دفع حكومات أوربا الغربية والولايات المتحدة إلى إعادة التمثيل الدبلوماسى الذى كانت قد قطعته بسبب رفض التعهد بدفع ديون القيصر.

كان للرصاصة التى أصابت عنق لينين أكبر الأثر فى انهيار صحته ، وقد أزالها الأطباء من عنقه ١٩٢٢م ، ولكنهم لم يستطيعوا إلغاء آثارها القاتلة ، إذ تسببت فى تعرض لينين لعدة نوبات دماغية ، كانت آخرها عام ١٩٢٤م وكانت القاضية .

حنط جسد لينين ودفن فى الساحة الحمراء فى موسكو ، ويعتبر قبره مقصداً لكل المؤمنين بفكره ونضاله.

ستالين

يوماً ما قال كلمته المشهورة " عليك أن تختار ضحيتك ، وتعد الضربة بعناية ، وتوقع الانتقام الذى لا يرحم ، ثم تذهب لتنام ، فليس هناك ما هو أحلى من ذلك فى العالم " ... وتعبر هذه الكلمات بوضوح عن القسوة البالغة التى اشتهر بها ستالين.

ولد فى ١٨٧٩/١٢/٢١م فى إقليم جورجيا واسمه الحقيقى " فيساريو نوفتش جوجاشفيلى " ،وكان أبوه إسكافياً فقيراً ، وبعد أن قضى خمس سنوات فى مدرسة " جورى " انتقل إلى مدرسة أخرى ولكنها ما لبثت أن طردته وكان فى التاسعة عشر من عمره ... وانضم إلى الديموقراطيين الاشتراكيين ، وهم حزب شيوعى كان يؤمن بمبادئ ماركس وإنجلز ، وانتخب عضواً بلجنة الحزب وأصبح من الدعاة الثوريين ، وراح ينشر المبادئ الشيوعية والثورية فى صفوف العمال ، وقبض عليه أكثر من مرة ونفى إلى سيبيريا ولكنه تمكن من الفرار.

ولما حدثت ثورة ١٧ أكتوبر عام ١٩١٧ م وتغلبت البلشفية فى روسيا كان من الأعضاء البارزين ، فلما مات لينين عام ١٩٢٤م خلفه فى منصبه سكرتيراً للحزب الشيوعى ، ومنذ ذلك التاريخ أخذ يحكم البلاد حكماً حديدياً

عنيفاً للغاية وعمل على التخلص من خصومه ومنافسيه وكل من كان يشعر بالشك من ناحيتهم ، وأصبحت حمامات الدم من أساليبه العادية ،ولما حاول تطبيق نظام الزراعة الجماعية قاومها الفلاحون ، فأرسل إليهم القوات التى أبادت الملايين منهم.

وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر ١٩٣٩م عقد ميثاق عدم اعتداء مع هتلر ، ولكن الأخير ما لبث أن نقض الميثاق وزحف على روسيا فى صيف عام ١٩٤١م ، ولما انتهت الحرب استولى ستالين على ولايات البلطيق وضمها إلى الاتحاد السوفيتى ، ثم عمل على إقامة النظم الشيوعية فى ألمانيا الشرقية وبلاد أوربا الشرقية .

وفى ٥ مارس ١٩٥٣م مات ستالين بعد أن ظل فى غيبوبة منذ أول مارس ، ودفن إلى جانب لينين ، وفى عام ١٩٥٦م ألقى خلفه خروشوف خطاباً مهماً شن فيه أعنف هجوم على ستالين واتهمه بالقسوة والوحشية وسوء استخدام السلطة ، وبدأت حملة استئصال عبادة الفرد ، ونقل جثمانه من الساحة الحمراء ودفن فى الكرملين إلى جانب القادة السوفيت العاديين ، كما أزيل اسمه عن الكثير من الساحات العامة والشوارع.